مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 8 العدد 1 / جوان 2022
ص ص 318-339

الأصل الاشتقاقي وأثره في توجيه الدّلالة القرآنية عند الطّاهر ابن عاشور –قضايا المشتقّات نموذجا-

The Derivative Origin and its Impact on Directing the Qur'anic Connotation at Al-Taher Ibn Ashour–" Kadhaya Almoshtakat

سليم رواق
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)، salimrou33@gmail.com

الاستلام: 2022/01/28 القبول: 2022/05/13 النشر: 2022/06/30

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة إحدى القضايا الصّرفية في لغة القرآن الكريم تخصيصا ألا وهي قضيّة الأصل الاشتقاقي ، وذلك من خلال تناولها في مجال علم التّفسير، فإنّ المتحرّي لمؤلّفات اللّغويين والمفسّرين يجد اهتماما بالغا في هذا الجانب، إذ أنّ إرجاع الألفاظ إلى أصولها هو الذي يكشف عن دلالاتها ومعانيها، وقد اهتمّ علماء التّفسير بهذه الأصول، وذلك بالبحث في بيان الفروق الدّقيقة بين الكلمات المترادفة، أو بيان الملمح الدّلالي لاختيار القرآن الكريم لفظة بعينها أو وضع صيغة دون أخرى، وممّا يؤكّد اهتمام المفسّرين بقضيّة الاشتقاق والبحث في أصول الكلمات ودلالاتها،ما نجده عند ابن عاشور كنموذج بارز لأولئك الذين أضفوا على منهجهم التّفسيري الصّبغة اللّغوية، حيث يظهر جليّا في تفسيره اهتمامه الكبير بأصول الألفاظ وكيفية اشتقاقها، إذ يردّ معظم الألفاظ إلى أصولها ويزيد على ذلك اهتمامه بعلاقة الاشتقاق بالدّلالة والمعنى، فنظرا لشيوع الاعتناء بهذه القضيّة الصّرفية في هذا التّفسير، فقد ركّز هذا البحث الموسوم ب"الأصل الاشتقاقي وأثره في توجيه الدّلالة القرآنية عند الطّاهر ابن عاشور –قضايا المشتقّات نموذجا-"على تحليل بعض النّماذج المتعلّقة بهذه العملية اللّغوية وتخصيصها في المشّتقات عبر أنواعها المعروفة، مستخدما في ذلك المنهج الوصفي التّحليلي بدءا بتوصيف المعاني والمفاهيم المهمّة الواردة في البحث، مع إتباع ذلك بدراسة الأمثلة التي تمّ استقراؤها ومناقشتها.

الكلمات المفتاحية : الاشتقاق؛ الصّيغة ؛ الدّلالة؛ السّياق؛ الوزن الصّرفي.

Abstract:

This research seeks to study one of the morphological issues in the language of the Noble Qur'an specifically, which is the issue of etymologyby addressing it in the field of exegesis, The one who investigates the writings of linguists and exegetes finds great interest in this aspect, since it is the return of words to their origins that reveals their connotations and meanings. Exegesis scholars have been interested in these principles by researching the subtle differences between synonymous words, or clarifying the semantic features of choosing a particular word in the Holy Qur'an, or putting a formula over another.What confirms the exegetes' interest in the issue of derivation and research in the origins of words and their connotations is what we find in Ibn Ashour as a prominent model for those who gave their explanatory approach a linguistic tint. It is evident in his interpretation that he pays great attention to the origins of words and how to derive them when he returns most of the words to their origins and increases his interest in the relationship of derivation to semantics and meaningin view of the prevalence of attention to this morphological issue in this interpretation, this research, named "The Derivative Origin and its Impact on Directing the Qur'anic

Connotation at Al-Taher Ibn Ashour–" KadhayaAlmoshtakat" Derivative Issues as a Model", focused on analyzing some models related to this linguistic process and allocating them through its known types using the descriptive analytical approach, starting with a description of the important meanings and concepts contained in the research, followed by studying the examples that were extrapolated and discussed..

Keywords: Formula; Semantics; Context; Morphological Weight.

1.مقدمة:

من المقرّر عند علماء اللّغة أنّ الألفاظ العربية التي تأتي على صيغ مختلفة يوجد بينها صلة معيّنة، عمادها أن ّ مفرداتها تشترك في أصول ثلاثية معيّنة، وتشترك في معنى عامّ ثمّ تنفرد في معنى خاصّ بها، وبعبارة أوضح أنّ الألفاظ في العربية يمكن تشكيلها على هيئات مختلفة، كلّ هيئة لها وزن خاصّ ولها وظيفة خاصّة ، وهذه الهيئات وهذه الوظائف تجري داخل المادّة اللّغوية الأصل وفق عملية كبرى يصطلح عليها بعملية الاشتقاق.فما مفهوم الاشتقاق في اللّغة وفي الاصطلاح؟؟.

2. الاشتقاق في اللّغة والاصطلاح:

1.2 تعريف الاشتقاق:

2.2 لغة: ورد في اللّسان:" شقّ-يشقُّ – شقّا – شقوقا .... شقّ الصّبح إذا طلع، وشقّ النبت إذا خرج من الأرض، ومنه فعل اشتقّ الشّيء على وزن (افتعل)، بمعنى أخذ شِقّه، واشتقّ الكلمة من الكلمة إذا أخرجها منها."

وجاء تعريف الاشتقاق في القاموس:" شقّه: صدعه، والشِّقّ: واحد الشّقوق، والشِّقّ من كلّ شيء: نصفه، والشّقيقة: وجع يأخذ نصف الرّأس، والاشتقاق: أخذ شِقّ الشّيء، والأخذ في الكلام، وأخذ الكلمة من الكلمة." (مجد الدين، 2013، صفحة 250)

وجاء في تاج اللّغة وصحاح العربية للجوهريّ: المشتقّات جمع مشتقّ، والمشتقّ: مصدر ميميّ من شقق والشِّقّ: واحد الشّقوق، وهو في الأصل مصدر، وتقول: بيد فلان وبرجله شقوق، ولا تقل شُقاق، وإنّما الشّقاق من داء يكون بالدّوابّ وهو تشقّق يصيب أرصاغها." (الجوهري، 1990، صفحة 306)

من خلال هذه التّعاريف يتبيّن أن مفهوم الاشتقاق في اللّغة لا يخرج عن دلالات ثلاث هي: -الدّلالة الحسّية وهي انصداع في الشّيء، -والدّلالة المعنوية وهي الخصومة والأخذ في الكلام، -والدّلالة الصّرفية وهي اشتقاق الحرف من الحرف، أي أخذه منه.

وقد استعملت بعض مشتقّات هذه الكلمة بذات الدّلالات في القرآن الكريم، وفي الحديث النبويَ الشّريف، فممّا جاء في القرآن الكريم كلمة (شقاق) في أكثرمم موضع، منها قوله تعالى:"وإن تولّوا فإنّما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم" [سورة البقرة الآية:137]، وقد جاء في تفسير كلمة شقاق (... الشّقاق المجادلة والمخالفة و التّعادي، وأصله من الشقّ وهو الجانب، فكأنّ لكلّ واحد من الفريقين في شقّ غير شقّ صاحبه" (القرطبي، 1975، صفحة 143)وممّا جاء في الحديث النّبوي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: قال الله عزّ وجلّ:" أنا الرّحمن وأنا خلقت الرّحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتتّه." (البخاري، 1989، صفحة حديث رقم 53)

3.2 الاشتقاق في الاصطلاح:

قال الرَضِيَ في شرحه لشافية ابن الحاجب :" الاشتقاق كون إحدى الكلمتين مأخوذة من الأخرى، أو كونهما مأخوذتين من أصل واحد".

وجاء في الأشباه والنّظائر أنّ بعضهم قال:" الاشتقاق أن تجد بين اللّفظتين مشاركة في المعنى والحروف الأصول مع تغيير ما، أمّا المشاركة في المعنى فلأنّهم لا يجعلون الوجَدَ والموجود من باب الاشتقاق، وأمّا المشاركة في الحروف الأصول، فلأنّهم لا يقولون إنَ الكاذب والخائن من أصل واحد، وأمّا التّغيير من وجه فلابدَ منه وإلاّ لكان هو إيّاه، ثمّ أنَ التّغيير قد يكون بزيادة وقد يكون بنقصان، وقد يكون بتغيير حركة، ولابدَ من زيادة أحدهما على الآخر في المعنى، وإلاّ لزما أن تكون المصادر التي هي من أصل واحد بعضها مشتقَ من بعض، أمّا المشتقَ فهو ما وافقه غيره في حروفه الأصول ومعناه الأصلي من غير جنس معناه".

ونقل السّيوطي أيضا عن شرح التّسهيل حيث قال:" الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتّفاقهما معنى ومادّة أصلية وهيئة تركيب لها، ليدلّ بالثّانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب، وحَذِر من حَذِر".

و إلى هذا المعنى يذهب الكثير من اللّغويين المحدثين، منهم تحديدا د. رمضان عبد التّوّاب ، حيث يرى أنَ الاشتقاق يعني:" توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرّجوع بها إلى أصل واحد يحدّد مادّتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاصّ الجديد". (رمضان، 1418، صفحة 290)

ومن خلال هذه التّعريفات الاصطلاحية يمكن القول: إنّ في الاشتقاق أصل وفرع، يحتوي الفرع على معنى الأصل، ويزيد عليه معنى آخر يُؤخذ من صيغة الفرع، والمتتبّع لهذه التّعريفات السّابقة يرى أنَ علماء اللّغة لم يتّفقوا على تحديد مفهوم ثابت للاشتقاق، ولكن ورغم هذا التّباين في طرح المفاهيم، إلاّ أنَ جميعها كانت تتمحور حول قطب جامع وتتمركز حول مضمون واحد، وهو:" أنَ الاشتقاق أخذ بنية من أخرى مع تغيير ما، ومناسبة في المعنى".

وقد حاول أحد الدّارسين المحدثين أن يجمع تلك الآراء المختلفة التي كانت محلّ تأصيل لظاهرة الاشتقاق من طرف علماء العربية القدامى، ليستخلص منها تعريفا شاملا للاشتقاق، حيث وصل في نهاية المطاف إلى هذا المفهوم:" الاشتقاق أخذ كلمة أو أكثر من أخرى لمناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في الأصل اللّفظي والمعنوي، ليدلّ بالثّانية على المعنى الأصلي مع زيادة مفيدة لأجلها اختلفت بعض حروفها أو حركاتها أو هما معا". (الحديثي، 1965، صفحة 246)

3 أقسام الاشتقاق وأهميّته:

اختلف علماء اللّغة في تحديد أقسام الاشتقاق على أوجه متباينة:

-الوجه الأوّل: ويرى أنَ الاشتقاق ينقسم إلى قسمين: كبير وصغير، وهذا قول ابن جنّي في كتابه الخصائص"... وذلك أنَ الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير، فالصّغير: ما في أيدي النّاس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقرّاه فتجمع بين معانيه، وإن اهتلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م)، فإنّك تأخذ منه معنى السّلامة في تصرّفه نحو: سَلِم ،يسلم

وسلمان، وسلمى، والسَلامة والسَليم، وعلى ذلك بقيَة الباب إذا تأوَلته، وأمَا الاشتقاق الأكبر فهو:" أن تأخذ أصلا من الأصول الثَلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه السَتَة معنى واحدا تجتمع التَراكيب السَتَة و ما يتصرَف من كلَ واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَ بلطف الصَنعة والتَأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك التَركيب الواحد" (ابن جنّي، 1988، صفحة 88).

فالاشتقاق الصَغير: هو الذي تشترك معانيه ومبانيه وإن اختلفت صيغه في معنى واحد جامع بينهما كالسَين واللاَم والميم مهما تولَدت منها كلمة مثل (سلم) ينتج منها: لمس، ملس، مسل، لسم، وسمل.

والاشتقاق الأكبر هو: أن ينتج الكلمة الثلاثية ستَ كلمات مشتركة في معنى جامع، وهكذا.

-الوجه الثَاني: يرى أنَ الاشتقاق ثلاثة وهذا رأي اللَغويين، حيث يقسَمون الاشتقاق إلى ثلاثة أقسام:

أ-الاشتقاق الصَغير أو الأصغر: وهو ما اتَحدت فيه الكلمتان (المشتقَ منها والمشتقَة)، في الحروف والتَركيب، نحو حافظ من الحفظ فإنَ الكلمتين تتَفقان في الحروف الثَلاثة، الحاء والظاء وفي ترتيبها.

ب-الاشتقاق الكبير: ويُطلق عليه ابن جنَي مصطلح الاشتقاق الأكبر وهو: اتَحاد مجموعات الكلمات في الحروف دون التَرتيب، ويمثَل لذلك ابن جنَي: اجتماع الكاف واللَام والميم في (ك ل م) و(ك م ل) و(م ل ك) و(م ك ل) و(ل ك م)و(ل م ك) فإنَ بينها جميعا قدرا مشتركا من معنى القوَة والشدَة.

ج-الاشتقاق الأكبر: وتتَفق في هذا القسم الكلمات في معظم الحروف مع وجود تناسب في صوتيَ في بقيَتها، ومن ذلك مثلا (النَعق) و(النَهق)، فإنَ الكلمتين اتَفقتا في النَون والقاف وثمَة تناسب في الحروف المختلف فيه وهو: العين والهاء فإنَهما من مخرج واحد كما أنَ أحدهما نظير الآخر جهرا أو همسا.

-الوجه الثَالث: وهو الذي يرى أنَ الاشتقاق على أربعة أقسام، وهذا الرَأي ذهب إليه أحد الباحثين المحدثين ونقصد بالذكر تحديدا " الأستاذ عبد الله أمين، حيث أضاف الباحث إلى الأقسام الثلاثة السَابقة نوعا رابعا اصطلح عليه اسم:" الاشتقاق الكُبَار" مريدا به ما عُرِف في البحث اللَغوي بالنَحت وهو:"أخذ حروف من كلَ كلمة تضمَها جملة أو تركيب للدَلالة على معنى الجملة أو التَركيب الكلَي نحو: "بسملة" بمعنى: بسم الله الرَحمن الرَحيم و"حوقلة" بمعنى: لا حول ولا قوَة إلاَ بالله" (أمين، 2000، صفحة 392).

وكخلاصة حول ما تقدَم، يمكن أن نستنتج جملة مفادها أنَ هذه الظَاهرة اللَغوية –أعني الاشتقاق- لا تخرج في أنواعها عمَا أصَل له ابن جنَي من خلال تحديده إيَاها في قسمين رئيسين، بينما وسَع غيره من اللَغويين وبخاصَة المعاصرين منهم دائرة تلك الأقسام إلى ثلاثة بل إلى أربعة إذا أخذنا بالقسم الرَابع الذي تبنَاه الباحث عبد الله أمين والذي سمَاه بالاشتقاق الكبَار.إلاَ أنَ الرأي الصَحيح وهو الذي يطمئنَ إليه اللَغويون ويستقرَون عليه أنَ الاشتقاق ثلاثة: الصَغير والكبير والأكبر.

1.3 أهميَة الاشتقاق:

من المعلوم عند علماء العربية أنَ الاشتقاق من الوسائل المهمَة التي تدلَنا على أصول الألفاظ، والاشتقاق هو الطَريق إلى فهم اللَغة،

وربط ألفاظها، والوصل بين معانيها." (فياض علي الجبوري عبد الرزاق ، 2013، صفحة 24)

ويعدَ الاشتقاق وسيلة مهمّة من وسائل نموّ اللّغة العربية، لذلك فالعربية توصف بأنّها لغة اشتقاقية، وعلى هدا الاعتبار يمكن أنَ نعدَ الاشتقاق جسرا يربط بين اللّغة والفكر وسبيلا ممهّدا إلى البحث بين التّعبير والتّفكير.

وقد أدرك أهل العربية من علمائها قديما وحديثا أهمّية وقيمة الاشتقاق والدّور الفعّال الذي يؤدّيه في نموّ اللّغة والعمل على اتّساعها، ولعلّ ما أُثر عنهم من مؤلّفات بنيت على هذه الظّاهرة لأبرز دليل على شدّة اهتمامهم بالبحث فيها والتّأصيل لها، ومن أمثلة تلك المؤلّفات التي ظهرت فيها ظاهرة الاشتقاق بارزة، كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175ه)، وهو الكتاب الذي قعّد من خلاله ابن جنّي للقسم الثّاني عنده من أقسام الاشتقاق -أعني الاشتقاق الأكبر-

وليس غريبا أن تتوالى التأليفات بعد ذلك حول موضوع الاشتقاق، إلى درجة وضع أبحاث مستقلّة في ذلك على غرار ما نجده عند ابن السرّاج (ت316ه)، في رسالته المسمّاة ب:"الاشتقاق"،"والتي صدّرها بسؤال وجواب، ليُعلِم القارئ بأهميّة الاشتقاق في اللّغة العربية، إذ يقول في رسالته:" ما الغرض في الاشتقاق؟، ولم وقع في الكلام؟، وما الحاجة إليه؟،ثمّ يجيب قائلا:" الغرض في الاشتقاق أنّ به اتّسع الكلام، وتُسُلّط على القوافي والسّجع والخُطب، وتُصُرّف في دقيق المعاني، ثمّ يقول:" ولو جمدت المصادر وارتفع الاشتقاق في كلّ الكلام، لم يوجد في الكلام صفة لموصوف ولا فعل لفاعل، وفضل لغة العرب على سائر اللّغات بهذه التّصاريف وكثرتها، وإنّ بالحركة من الحركات التي هي الضمّة والفتحة والكسرة وبالحرف نفرّق بين معان، ولولا هذه الأبنية لاحتيج إلى كلام كثير". (عبد الرزاق فياض علي الجبوري ، 2013، صفحة 24)

وإذا كان هذا الاشتقاق يعدّ مظهرا من مظاهر حيوية العربية، فإنّه كذلك مظهر من مظاهر منطقيتها، واتّساقها مع طبيعة الأشياء وذلك عن طريقة عملية دقيقة تتمثّل في إرجاع الجزئيات إلى الكليّات، وكذا ربط تلك الأجزاء المتناثرة بمعنى واحد يجمعها كأصل تعود إليه. وهذه الخاصيّة التي تنفرد بها العربية، إنّما تعبّر عن تلك القدرة الكامنة فيها على الرّبط والتّصنيف سواء أكان ذلك على مستوى الألفاظ أو على مستوى المعاني.

وممّا يدلّل على صحّة ما نظّر له علماؤنا القدامى حول العملية الاشتقاقية، وتحديدا عند ربطهم بنية الكلمات بمعانيها، أنّ ما يقدّم اليوم من بحوث في إطار الدّراسات الدّلالية الحديثة يوافق ويؤيّد تلك النّظرة العميقة لعلمائنا القدامى، "حيث يرى سعيد الأفغاني أنّ النّظر إلى الاشتقاق في العربية يحصل من زاويتين، زاوية عامّة ومن طريق غير مباشر، و زاوية خاصّة ومن طريق مباشر؛فالأولى تتعلّق باشتقاق كلّ الكلمات في الأسرة الواحدة من جذر واحد ثلاثي يحدّد بُعد النّظر إلى كلّ تلك الكلمات مرتّبة على نسق واحد، وهذا ما يمكن تسميته بالاشتقاق غير المباشر، وأمّا الأخرى فتتعلّق بحركة الصّيغ، ورصد العلاقات الدّلالية القائمة بين المفردات، وهذا ما يُطلق عليه بالاشتقاق المباشر." (عبد الرزاق فياض علي الجبوري ، 2013، صفحة 26)

كما يضيف د. توفيق شاهين حول خاصيَة الاشتقاق وأنواعه، بأنَه :" وسيلة رائعة لتوليد الألفاظ وتجديد الدَلالات، ففيها توليد مستمرَ، ورغم ما توحي به ظاهرة السَبك القالبي من رتابة وجمود في القياس، فإنَ هذا وذاك أسدى إلى العربية يدا طولى، وأصبح لنا أن نزيد على الصَيغ وأن ننقص منها ، وأن نحيي الميَت، ونقيس على مثاله، ونشتقَ على منواله." (شاهين توفيق ، 1993، صفحة 104)

فالاشتقاق إذن وعلى اعتبار ما سبق يمكن عدَه الفارق الجوهري بين اللَغة التي من صفاتها النَموَ والتَطوَر وتلك التي من خصائصها التَراكم والتَغيَر، وذلك انطلاقا من كون اللَغات الإنسانية تتفاوت فيما بينها وتتمايز من حيث إمكاناتها على تطوير دلالات ألفاظها إلى ثلاث مراتب،قسم منها:(لغات عازلة أو جامدة)، وقسم آخر: (لغات إلحاقية أو إلصاقية)، أمّا القسم الثّالث فهي اللَغات المتصرَفة أو الاشتقاقية، وهذا القسم هو الذي تنتمي إليه اللَغة العربية، ومن الخصائص المميَزة لهذا النَوع من اللَغات أنَها تقبل تكسَر أصولها وذلك بقبول" السَوابق واللَواحق والمقحمات التي توضع في وسط البنية الأصلية، كما تقبل الإدغام والحذف في بعض الحروف حسب نظام صوتي في كلَ لغة منها." (الزهراني مشرّف بن أحمد ، 2009، صفحة 430)

ومن خلال هذه الخصائص والتَّنوعات الاشتقاقية يتمَ تحديد الهدف الأكبر منها ألا وهو تنويع الدَلالات وتجديدها مع كلَ تغيَر يطرأ في بنية الأصل، ونظرا لتوفَر اللَغة العربية على هذه الخصائص والصَفات، فقد قرَر علماء اللَغات السَامية، منحها صفة الامتياز عن اللَغات الآرية من خلال احتوائها على ميزة المرونة وسعة الاشتقاق،وذلك لا لشيء إلاَ للقدرة الكامنة التي يحتلَها الاشتقاق في أصول العربية، وممَا يدلَل على تجذَر هذه الظاهرة في العربية، ذلك الاهتمام الواسع الذي نلمسه عند المتقدَمين من أهل اللَغة بها ، حيث عبَر عنها ابن فارس بقوله:" لغة العرب أفضل اللَغات وأوسعها." (ابن فارس أحمد ، 1997، صفحة 19)

وقد خصَص بهذا العنوان بابا في كتابه المسمَى: "الصَاحبيَ" والذي يعدَه الباحثون من أهمَ المصنَفات التي ألَفت في مجال في فقه اللَغة.

كما يعدَ الاشتقاق عموما من أهمَ وسائل التَوليد اللَغوي والتَعبير عن الدَلالات الجديدة، وطريقة أفضل للاستجابة لمتطلَبات العصر،بالإضافة إلى ذلك فإنَ للمشتقَات فائدة في بيان التَحوَلات والتَقلَبات التي تكسب الألفاظ معاني جديدة، ومن الأمثلة الشَاهدة على ذلك، تلك التَغييرات التي نلحظها على أبنية (اسم الفاعل) مثلا، حيث تضفي عليها طوابع من الدَلالات والمعاني الجديدة كانتقال المعنى من دلالة اسم الفاعل إلى معنى صيغة المبالغة، ودلالة بنية (أفعل) على التَفضيل، وهكذا.

وبصيغة أخرى حول ما تقدَم من فوائد الاشتقاق، أنَ كلَ تغيَر في المبنى يحمل في طيَاته تغييرا في المعنى، فتصريف الأفعال أو الأسماء هو تغيير في بنية الكلمة بغرض معنويَ أو لفظي، وهذا أمر منطقيَ، إذ ليس من المعقول أن يتغيَر مبنى الألفاظ وتبقى حاملة المعاني نفسها،فمن الغرابة أن تتعدَد المباني ويبقى الاستعمال الدَلاليَ واحدا،لذلك لا يستوي قولنا:"فلان صادق مع قولنا :"فلان صِدَيق أو صدوق، فكلَ معنى يحتاج إلى ما يناسبه من المباني التي يتلائم

معها، فيحقّق المتكلّم مبتغاه ومراده من الدّلالات التي يريد التّعبير عنها، فتعدّد صيغ المشتقّات يعبّر عن تعدّد معانيها، وذلك كلّه خدمة للمتكلّم في تعبيره عن أغراضه البلاغية، وتلبية لحاجاته في الكلام حسب المقامات المقالية المختلفة.

3،2 الاشتقاق وأثره في التّفسير:

من الأمور التي تعدّ ضرورة للمفسّرين في استنباطهم للمعاني القرآنية، وإبرازهم لها، اعتمادهم على مبحث اللّغة، وتحديدا البحث في أصولها الأساسية التي يرجع الكلام إليها، إذ تساعد تلك الأصول المفسّر في استخلاص المعاني، وبعبارة أوضح فإنّ المفسّر، يستوجب عليه أن يستشهد باللّغة ويتتبّع القواعد القولية والتّصريفية التي يبنى عليها اللّسان العربي، وذلك بغية –كما أشرت سابقا- فهم معاني كتاب الله تعالى وتراكيبه المتنوّعة، ولهذه الأهميّة التي يكتسيها علم اللّغة في خدمة علوم التّفسير، فقد اتّفق العلماء على أنّ الرّجوع إلى هذا العلم الجليل، أمر حتميّ لا يمكن تجاوزه، لأنّ النّاظر في لغة القرآن الكريم، يدرك حقّ الإدراك أنّه منزّل بلسان عربيّ مبين، وكما هو مقرّر فإنّ الألفاظ دالّة على معانيها الموضوعة لها في قانون لغة العرب وهو الذي نزل به القرآن الكريم، فسبيل المفسّر في بحثه عن المعاني القرآنية لا يخرج على ما ورد في لسان العرب، لذا ينبغي على المفسّر أن يكون عارفا بلغة العرب وحقائقها، لأنّه لا يمكن له تفسير شيء من القرآن الكريم، إلاّ عن طريق العودة إلى هذه المفاهيم اللّغوية الثّابتة، فهي محطّ الكشف عن أسرار القرآن ومعانيه.

ويتّضح ذلك التّأثير البارز للاشتقاق في علم التّفسير، من خلال إبراز تلك القواعد التي ذكرها المفسّرون "والمتعلّقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني وأثرها في اختلاف المفسّرين في تفسير آية من كتاب الله، ومن ذلك ما إذا كانت لفظة تحتمل أكثر من معنى وأيّد تصريف الكلمة أو أصل اشتقاقها أحد الأقوال، فهذا القول هو أولى الأقوال بتفسير الآية، لأنّ التّصريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها، فتتّضح الألفاظ والمعاني المتفرّعة عنها، وقد يدلّ تصريف الكلمة واشتقاقها على ضعف أحد الأقوال في تفسير الآية لأجل مخالفته لهما." (الهيثي فراس يحي عبد الجليل ، 2007، صفحة 35)

وتعدّ ظاهرة الاشتقاق إحدى الظّواهر اللُّغوية التي تلعب دورا فعّالا في توسيع دائرة المفردات اللّغوية، وتوجيه الدّلالات والمعاني للمفردات القرآنية، ومن خلاله يُتوصّل إلى أصول لغوية ثابتة، ومطّردة تمكّن من فهم ما يندرج تحتها من معان ومدلولات مختلفة، وظاهرة الاشتقاق"واحدة من أسخى منابع العطاء، إذ يصاغ الأصل اللّغوي للمفردات القرآنية بوساطتها على هيئة أو هيئات تأخذ بأيدينا إلى حيث مستقرّها اللّغوي ومستودعها الدّلالي والمعنوي." (علي نعمة حيدر ، 2013، صفحة 301)

ويتبيّن ذلك التأثير الواضح للاشتقاق أكثر في تفسير المعنى القرآني، إذا نظرنا إلى هذه الظّاهرة اللّغوية، واعتبرناها جزء لا يتجزّأ من المعاني الصّرفية ككلّ، لأنّ بين علم التّفسير وعلم الصّرف ارتباطا وثيقا، وهو ما جعل علماء اللّغة والمفسّرين، يولون جلّ اهتمامهم للكشف عن الدّلالات الصّرفية في القرآن الكريم، والتي منها

المشتقَات، وبناء على هذه القيمة اللّغوية فقد اشترطوا في المعتني بالتّفسير، أن يكون ملمًا بعلوم العربية وبخاصّة علمي الصّرف والنّحو، إذ الغاية الكبرى التي يرمي إليها علم الصّرف مثلا، تقويم اللّسان والحفاظ على النّطق الصّحيح، ومراعاة قوانين كتابة اللّغة، وذلك بهدف إدراك معاني الألفاظ و الكيفيات التي تستعمل بها في المواضع المختلفة، وبهذا الهدف الأسمى الذي ينفرد به علم الصّرف، يتبيّن فضله، وتُلحظ قيمته ، ومدى تأثيره في إدراك وفهم معاني النّصّ القرآني.

ولعلّ أفضل ما يبرّر ذلك التأثير، وتلك العلاقة المتينة بين الاشتقاق كسمة لغوية، وبين علم التّفسير الهادف إلى خدمة النّصّ القرآني، ما ذكره علماء اللّغة من أمثلة شاهدة على ما نحن بصدد تقريره، قال ابن عصفور:" وممّا يبيّن شرفه (يعني علم الصّرف)، أيضا أنّه لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلاّ به، ألا ترى أنّ جماعة من المتكلّمين امتنعوا من وصف الله سبحانه ب:"حنّان"، لأنّه من الحنين، والحِنّة من صفات البشر الخاصّة بهم، تعالى الله عن ذلك." (الإشبيلي ابن عصفور ، 1987، صفحة 28)

ويضيف ابن منظور:" وكان بعض مشايخنا أنكر التّشديد فيه لأنّه ذهب به إلى الحنين، فاستوحش أن يكون الحنين من صفات الله تعالى، وإنّما معنى الحنّان الرّحيم من الحنان، والحنين الشّديد من البكاء والطّرب." (ابن منظور جمال الدّين ، 1414، صفحة 634)

4 علاقة الاشتقاق بالمعنى:

يشغل المعنى حيّزا كبيرا من مباحث العلوم المختلفة وفي مقدّمتها علم اللّغة والفقه والبلاغة وعلم التّفسير، وبناء على هذا المنطلق فإن المعنى يكتسب أبعادا واضحة في تحديد المفهوم المعرفي للألفاظ، كالبحث في أصول الاشتقاق الذي من خلاله يتّضح الطّريق بدقّة في إدراك عمق النّصوص والوقوف على أسرارها.

ومن زاوية أخرى فإنّه لمّا كان المعتمد في فهم معاني الألفاظ ودلالاتها هو البحث عن منشئها الذي نشأت منه، فإنّ المتحرّي لمؤلّفات اللّغويين والمفسّرين يجد اهتماما بالغا في هذا الجانب، وذلك أنّ إرجاع الألفاظ إلى أصولها هو الذي يكشف عن دلالاتها ومعانيها، وقد اهتمّ علماء اللّغة بهذه الأصول وعلى رأسهم البلاغيون–خصوصا في مجال التّفسير- وذلك بالبحث في بيان الفروق الدّقيقة بين الكلمات المترادفة، أو بيان الملمح الدّلالي لاختيار القرآن الكريم لفظة بعينها أو وضع صيغة دون أخرى.

وممّا يؤكّد اهتمام اللّغويين بقضيّة الاشتقاق والبحث في أصول الكلمات ودلالاتها، ما نجده عند ابن عاشور كمثال لهؤلاء المفسّرين، حيث يظهر جليّا في تفسيره اهتمامه الكبير بأصول الألفاظ وكيفية اشتقاقها، إذ يردّ معظم الألفاظ إلى أصولها ويزيد على ذلك اهتمامه بعلاقة الاشتقاق بالدّلالة والمعنى، فمادة الافتعال مثلا إلى جانب أصلها الاشتقاقي فهي تدلّ عنده على تكلّف الفعل مثل الاكتساب والاختلاف، وهذه العبارة جامعة بين الاهتمام بالأصل الاشتقاقي،وبين دلالة هذا الاشتقاق وأثرها المعنوي، ويمكن إجمال تلك العلاقة الوطيدة بين الاشتقاق وارتباطه الوثيق بالمعنى في المظاهر التّالية:

- ضبط بنية الكلمة بناء على أصلها: والمراد من ضبط بنية الكلمة هو ضبط البنية وسائر الحروف المتعلّقة بها، وهذا العمل يختصّ به

علم الصَرف ، فهو الذي يجعلها متجليَة واضحة المعنى، ومن أجل ذلك فإنَ ضبط بنية الكلمة يعدَ أوَل العمليات التي يجب القيام بها، باعتباره المنبع الرئيس، في الكشف عن دلالة اللَفظة، والمميَز الأساسي بينها وبين ما يشبهها في الرَسم من ألفاظ أخرى، " فلو تأمَلنا هذا الرَسم (تبت)، لوجدنا أنَه يحتاج إلى ضبط حروفه كلَها حتَى يُعرف المراد منه، فلو كان الضَبط هكذا (تُبْتُ) فهو فعل دالَ على التَوبة الواقعة في الماضي، من مفرد يتكلَم عن نفسه." (الزهراني مشرّف بن أحمد ، 2009، صفحة 435) بينما لو كان ضبط هذه الصَيغة المأخوذة كمثال بهذا الشَكل (تَبَتْ)، لتغيَر المعنى وأصبح الفعل يدلَ على "التَّباب وهو الهلاك والخسران الواقع في الزَّمن الماضي أو المدعو بوقوعه على مفرد مؤنَث غائب متكلَم عنه" (الزهراني مشرّف بن أحمد ، 2009، صفحة 438)، وهكذا تتغيَر معاني الألفاظ كلَما غيَرنا الضَبط الصَيغي لها، وهذه العملية الاشتقاقية الصَرفية، استند إليها صاحب التَحرير والتَنوير في تفسيره، ويظهر ذلك جليَا من خلال تلك المسائل اللَغوية التي تعرَض لها، في إبرازه للكثير من معاني الآيات القرآنية ذات الصِلَة بظاهرة الاشتقاق من خلال البحث في أصولها أو صيغها الصَرفية، وليس هذا موضع البسط في هذه القضيَة، لأنَ ذلك خاصَ بالجانب التَحليلي الذي سيرد –بحول الله تعالى- في الفصول اللاَحقة من هذا البحث.

-دلالة الكلمة على أصلها: والمقصود من ذلك أنَ هناك علاقة أخرى إلى جانب العلاقة السَابقة والتي وُضَحت في العنصر الأوَل، مفادها أنَ هناك ارتباط قويَ بين الكلمة وبين أصلها الاشتقاقي من حيث المعنى، إذ أنَ اللَفظ وعلى الرَغم ما يلحقه من تغيَرات بالزيَادة أو الحذف أو الإبدال أو الإعلال أو غير ذلك، فإنَه يبقى متين الصَلة بينه وبين أصله الاشتقاقي من حيث الدَلالة، ولعلَ من أبرز علماء اللَغة الذين التفتوا إلى هذا الجانب التفات قويَا، "ابن فارس الذي صنَف معجمه الفذَ (مقاييس اللَغة)، على هذه الصَورة، وطريقته فيه أنَه ينظر في جميع ما صحَ عنده من الألفاظ في الجذر الواحد، ويردَها جميعا إلى أصل دلالي أو أكثر،يأبى أن يخرج لفظة من هذه الألفاظ عمَا استنبطه من أصول عامَة، تعدَ قواعد دلالية بناء على استقرائه." (الزهراني مشرّف بن أحمد ، 2009، صفحة 450)

ومن الأمثلة التي تبرَر هذا المسلك الذي سلكه ابن فارس في معجمه،قوله في الجذر اللَغوي (بقع)،:" الباء والقاف والعين أصل واحد ترجع إليه فروعه كلَها، وإن كان في بعضها بعد، فالجنس واحد وهو مخالفة الألوان بعضها بعضا." (ابن فارس أحمد ، 1997، صفحة 129) وانطلاقا من هذا لنَصّ يتّضح مدى تمسّك ابن فارس بقضيّة الأصل الذي يردّ إليه كلّ الفروع المتعلّقة بتقلّبات الكلمة، وهو بذلك يتّبع القاعدة التي مفادها، أنّه مهما ابتعدت الدّلالات التي ينتمي إليها اللّفظ الواحد، فإنّ النّظر فيها بالأساس يكون من خلال ذلك الرّابط الدّلالي الجامع لها (أي الذي تعود إليه في أصلها. وبانتهاج هذه القاعدة، التي طبّقها صاحب معجم (مقاييس اللّغة)، في مؤلّفه،فقد اضطرّته إلى التخلّي عن كثير من الكلام العربي المرويّ عن طريق السّماع، والعلّة هي أنّ كون ذلك الكلام لا يرجع إلى أصل اشتقاقيّ واحد، أو كون العلاقة متباعدة بين تلك الدّلالة التي يحملها اللّفظ وبين الأصل الذي تعود إليه، بحيث لا يمكن تمييزها.

وقد تركت هذه المنهجية في التحرّي والعودة إلى الأصل أثرها عند صاحب التّحرير والتّنوير، وقد تجلّى ذلك في تعامله مع كثير من مفردات القرآن الكريم، إذ تجده يلتفت إلى الأصل الدّلالي للجذر ويُجريه على مشتقّاته، وقد توصّل ابن عاشور من خلال التّحليلات اللّغوية التي قدّمها في مجال التّفسير القرآني وبخاصّة في تلك المواضع التي وقع فيها الاشتقاق، إلى الكثير من القضايا الدّلالية التي يعدّها الباحثون اليوم من صميم الدّراسات الدّلالية الحديثة، وتوجيه ذلك سيأتي الحديث عنه من خلال القضايا التي سنذكرها في الفصول التّطبيقية.

-الفروق الدّلالية: هناك علاقة وطيدة بين البحث في دلالة الكلمة على أصلها، وبين الفروق الدّلالية بين الكلمات، إذ أنّه بالاعتماد على الأوّل يتمّ تبيّن تلك الفروق الدّلالية بين الألفاظ المتقاربة في المعنى بناء على أصولها الاشتقاقية، والبحث في دلالات الألفاظ والفروقات بين معانيها المختلفة باب واسع في العربية،" لا يقوى على مراسه كلّ أحد من أرباب القول العالمين بتصاريفه، وقد استُعمل هذا الباب في إبراز معايب الشّعراء، وتعدّدت أوجه النّقد الموجّه إليهم في الدّلالات الدّقيقة للألفاظ." (الزهراني مشرّف بن أحمد ، 2009، صفحة 451)

ومن ذلك مثلا،" توجيه النّابغة الذبياني لحسّان بن ثابت أن يغيّر لفظ (يلمعن)، إلى (يبرقن) في قوله:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضّحى***وأسيافنا يقطرن من نجدة دما." (ابن علي أحمد القلقشندي ، 1987، صفحة 211)

وكذلك حديث النّبيّ (صلّى الله عليه وسلّم)، الذي ينهى فيه عن لفظ (خبُثت)، ويحثّ على استبداله بلفظ (لقُست)، في قوله:" لا يقل أحدكم خبُثت نفسي ولكن ليقل: لقست نفسي." (البخاري، 1989، صفحة ج5 رقم 5825)

فهذه الأمثلة وغيرها تدلّ على الالتفات منذ القديم إلى الفروق الدّلالية بين الألفاظ، سعيا نحو دقّة التّعبير المبنية على دقّة الدّلالة، وكثرة التّأليف في هذا الجانب خير برهان على شدّة حرص اللّغويين العرب على مراعاة تلك الفروق الدّلالية بين الألفاظ، ومن أشهر المؤلّفين في هذا، نذكر منهم على سبيل التّمثيل لا الحصر: ابن قتيبة، وأبو هلال العسكري،و وابن جنّي وغيرهم.

وممّا يوضّح أيضا تلك العلاقة القائمة بين الاشتقاق والمعنى أو الدّلالة أنّ الملاحظ على اللّغة العربية، اختصاصها بتلك الصّيغ الصّرفية المتنوّعة، والتي تعبّر بها عن مختلف المعاني تعبيرا أقلّ ما يقال عنه أنّه يتّصف بالدّقّة والاختصار، وهذا كلّه لا يتأتّى إلاّ ضمن سياقات ومقامات مختلفة، يتمّ فيها التّعبير عن تلك المعاني المراد إيصالها للمتلقّي.

وممّا يزيد تلك العلاقة اطّرادا، أنّ الكثير من علماء اللّغة والمفسّرين، يعتمدون في إبرازهم للفروق الدّلالية بين الألفاظ بناء على افتراق المعاني نتيجة لفروق اشتقاقية لألفاظها، فقد فرّق السّيوطي بين الخوف والخشية على أساس اشتقاقيّ، إذ الخشية" مأخوذة من قولهم: شجرة خشيّة أي يابسة وهو فوات بالكليّة، والخوف من ناقة خوفاء أي بها داء وهو نقص وليس بفوات." (السيوطي جلال الدّين ، 2008، صفحة 621)

وتتأكّد هذه العلاقة بين الاشتقاق والمعنى أو الدّلالة، إذا نظرنا إليها بمفهوم أعمّ، وذلك من خلال تمييز تلك الخصائص الكبرى التي تنفرد بها

اللّغة العربية، والمتمثّلة تحديدا في كونها " تتضمّن صيغا صرفية متنوّعة تمكّن من التّعبير عن مختلف المعاني، تعبيرا دقيقا أو موجزا، فينبغي للمتكلّم أن ينتبه إلى تنوّع هذه الصّيغ ومعرفة المستعمل منها، وإدراك ما تفيده من دقائق مختلفة باختلاف السّياق أو المقام، والصّيغة الواحدة قد يتغيّر معناها بتغيّر السّياق أو المقام." (ربدة بن عزوز، 1989، صفحة 34) و ممّا تقدّم تتبيّن تلك القيمة والأهميّة التي تؤدّيها الصّيغة الصّرفية في الكلام، إذ تعدّ عنصرا من العناصر الأساسية في تحديد المعنى، ولولا ذلك لالتبست معاني الألفاظ المشتقّة من مادّة واحدة، فالصّيغة هي التي تُقيم الفروق بين (كاتب ،ومكتوب، وكتابة)، وبين (شريك،و اشتراك،و شركة)، "فهي التي تخصّص المعنى وتحدّده، كتحديد معنى الفاعلية فيما كان على وزن فاعل من الثّلاثي، أو مفعل من أفعل، أو مفتعل من افتعل ...الخ، ومعنى المفعولية في أوزان اسم المفعول، أو معنى الطّلب في استفعل كاستغفر واسترحم." (ابن قتيبة عبد الله بن مسلم ، 2005، صفحة 191)

وتُعدّ هذه الصّيغ والأوزان بالنّسبة لتلك "المفاهيم العامّة المعبّر عنها في العربية بالموادّ، بمثابة قوالب تُصاغ فيها الألفاظ وتُحدّد بها المعاني بالكليّة، فإذا وضعت مادة (ق، ط، ع)، في قالب من قوالب الأبنية، وصُغتها على مقداره كأن جعلتها على بناء (مِفْعَل)، فقلت مِقْطَع فقد أخرجت منها لفظا يدلّ على آلة القطع، وإن قلت (مَقْطَع)، على وزن (مَفْعَل)، فقد دللت على مكان القطع، وإن قلت: (مقاطعة)، على وزن (مفاعلة)، فقد دللت على قطع الصّلة بين اثنين أو جماعتين." (ربدة بن عزوز، 1989، صفحة 35)

5 قراءة تحليلية لبعض النّماذج التي أوردها صاحب التّحرير والتّنوير في إبراز أثر الأصول الاشتقاقية وأهميّتها في توجيه الدّلالة القرآنية "قضايا المشتقّات نموذجا".

لمّا كان المعتمد في فهم دلالات الألفاظ هو التحرّي عن منشئها والبحث عن أصلها الاشتقاقي الذي نشأت منه، فقد وُجد هذا التحرّي يستحوذ على اهتمام اللّغويين والمفسّرين، فيرجعون الألفاظ إلى أصولها الأولى كشفا عن أصل دلالتها" (الزهراني مشرّف بن أحمد ، 2009، صفحة 427)، ومن بين المفسّرين المعاصرين الذين أظهروا عناية واهتماما واسعا بأصول الألفاظ واشتقاقها ،العلاّمة محمّد الطّاهر بن عاشور في تفسيره "التّحرير والتّنوير" ، فالمتتبّع لهذا التّفسير يجد صاحبه يردّ معظم الألفاظ إلى أصولها ويزيد على ذلك اهتمامه بعلاقة الاشتقاق وارتباطه بالدّلالة، وهو الذي ستحاول هذه الدّراسة التّطرّق إليه، متّخذة قضايا المشتقّات نموذجا يجسّد ذلك الاعتناء الذي أظهره ابن عاشور من خلالها للأصول الاشتقاقية، وإبراز أثرها في تفسير المعنى القرآني.

1 .5 قضايا متعلّقة باسم الفاعل:

- في قول الله تعالى: الحمد لله ربّ العالمين الرّحمن الرّحيم ملك يوم الدّين [1]: قال ابن عاشور: "فأما {مَلِكِ}، فهو مؤذن بإقامة العدل وعدم الهوادة فيه؛ لأن شأن الملك أن يدبر صلاح الرّعية ويذب عنهم، ولذلك أقام النّاس الملوك عليهم.ولو قيل رب يوم الدّين لكان فيه مطمع للمفسدين يجدون من شأن الربّ

[1] سورة الفاتحة، الآيات: 2 - 3 - 4.

رحمة وصفحا...وقوله:{مَلِكِ}قرأه الجمهور بدون ألف بعد الميم، وقرأه عاصم والكسائي ويعقوب وخلف:مَالِك(بالألف)،فالأول صفة مشبهة صارت اسما لصاحب الملك(بضم الميم) والثّاني اسم فاعل من«مَلَكَ»إذا اتّصف بالملك(بكسر الميم)". (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج12 ص 174)

من خلال هذا التّوضيح الدّقيق الذي قدّمه ابن عاشور حول قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} يمكن القول إنّ المنهجية المتّبعة من صاحب «التّحرير والتنوير» في تفسيره لهذه الآية منطلقها هو محاولة الاكتشاف الدّلالي الذي أفادته صيغة «ملك».

إذ المدقّق في هذا التحليل المقدم يلحظ شدّة اعتناء ابن عاشور بالتنبيه على الأصل الاشتقاقي لهذه الصيغة، بل وجعل البحث في اشتقاق صيغة «ملك» المحور العام الذي يستنبط منه المعنى الدلالي للآية ككل، ويظهر ذلك من خلال تنبيهه على التوجيه القرآني بين صيغة «ملك»- وهي قراءة الجمهور- وبين صيغة «مالك» التي انفرد بها بعض القراء، وغرضه من هذا التوجيه هو خدمة النوع الاشتقاقي وإبرازه في كل قراءة؛ حيث جعل صيغة القراءة الأولى صفة مشبهة، وجعل صيغة القراءة الثانية اسم فاعل.

ثمّ يواصل ابن عاشور حديثه في إطار الدّلالة الاشتقاقية من خلال حرصه الشّديد على بيان أصل هذه الصّيغة واشتقاقها، مع الاستشهاد بآراء بعض المفسرين، كتوجيه ابن عطية لهذه المسألة، والذي أرجع هذه الصيغة «مالك» إلى «مَلَكَ» التي بمعنى شَدّ وضَبَطَ.

وتبرز دقة ابن عاشور في تحليله باهتمامه الواسع في التفريق بين الصيغ المتشابهة، فقد فرّق بين دلالة «الملك» بفتح الميم ونظيرتها بكسر الميم، ومن هنا يتبين أن ابن عاشور كثيرا ما يستعين بإرجاع الصيغ إلى أصولها الاشتقاقية من أجل الوصول إلى المعنى القرآني، وخير دليل على ذلك أنه قبل بحثه عن المعنى العام للآية الكريمة شرع أولا في التفرقة بين أصل الصيغتين «مَلِك» و«مالِك»، حيث حدد الأولى على أنها صفة مشبهة التي من خصائصها اللزوم والثبوت، لذلك قال: "فالأول صفة مشبهة صارت اسما لصاحب الملك (بضم الميم)" (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج12 ص 174)؛ أي إن صفة الملك ثابتة لله عز وجل، لا يشاركه فيها أحد فيما يختص به (وهو يوم الدين)، الذي أضيفت له هذه الصفة، بينما حدد الثانية على أنها اسم فاعل من الفعل «ملِك» إذا اتصف بالملك (بكسر الميم)، والتعبير باسم الفاعل كذلك يعني لزوم تلك الصفة لصاحبها واستمرارها له.

ومن دقة تحليل ابن عاشور كذلك أنه بعد التفريق بين الصيغتين من حيث الجانب الاشتقاقي تجده يحاول التوفيق بينهما في المعنى من خلال الجمع بينهما في الإضافة، فكلاهما مضاف إلى {يَوْمِ الدِّينِ}، وفي هذه الإضافة يستويان في إفادة معنى واحد، وهو أن «ملِك» و«مالك» تعني المتصرف في شؤون ذلك اليوم دوم مشارك.

- وقال رحمه الله في تفسيره لقول الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ [2]:"... وأما قوله: {وَالصَّابِئِينَ} فقرأ الجمهور بهمزة بعد الموحدة على صيغة جمع «صابِئ» بهمزة في آخره، وقرأ نافع وحده بياء ساكنة بعد الموحدة المكسورة، على أنه جمع «صابٍ» منقوصا، فأما على قراءة الجهور فالصابئون لعله جمع «صابئ»، و«صابئ» لعله اسم فاعل «صبأ» مهموزا؛ أي ظهر وطلع؛ يقال: صبأ النجم أي طلع، وليس هو من «صَبا يَصبُو» إذا مال؛ لأن قراءة الهمز تدل على أن ترك تخفيف الهمز في غيرها تخفيف؛ لأن الأصل توافق القراءات في المعنى... وأما على قراءة نافع فإنهم جعلوها جمع «صابٍ» (مثل «رامٍ»)، فهو اسم فاعل من «صَبا يَصبُو» إذا مال، قالوا: لأن أهل هذا الدين مالوا عن كل دين إلى دين عبادة النجوم" (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج1 ص 533).

- من خلال تحليل ابن عاشور لهذا المثال نلحظ مرّة أخرى شدّة اعتنائه بالتّركيز على المعنى القرآني وتوجيهه من خلال الرّجوع بالصّيغة إلى أصولها الاشتقاقية، لكنّه في هذا السّياق اتّخذ أسلوبا آخر في التّحليل؛ حيث بدأ بعرض حديثه عن القراءات القرآنية وتوجيه تلك الصّيغة من خلالها (أعني التّوجيه القرائي)، ثم ربطها بالجانب الاشتقاقي فيها؛ إذ التفريق بين قراءة نافع وقراءة الجمهور لصيغة اسم الفاعل «الصابئين» كان هو المنطلقَ الذي انطلق منه ابن عاشور ليصل من خلاله إلى إبراز تلك المفارقة في الدلالة الاشتقاقية، ومن ثم في المعنى السياقي الذي تفيده الآية، وتوضيح ذلك أن توجيه المعنى على قراءة الجمهور بإثبات الهمز في {الصَّابِئِينَ} يجعلنا نذهب باسم الفاعل في هذه الصيغة على أنه مشتق من الفعل «صبأ»، والذي يدل على معنى الظهور والطلوع، ولأن الصابئة فرقة كانت تعبد النجوم فنسبت إليها؛ إذ إنه يقال: صبأ النجم، إذا ظهر وطلع، أمّا على توجيهه (أي المعنى) على قراءة نافع (بالتخفيف) وعدم إثبات الهمز في الصيغة نفسها (الصَّابِينَ) فإنه يستوجب أن نجعل اسم الفاعل مختلفا في الأصل الاشتقاقي على التوجيه الأول فهو هنا -كما يقول ابن عاشور-"جمع «صابٍ»(مثل «رامٍ»)، فهو اسم فاعل من «صَبا يَصبُو» إذا مال" (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج1 ص 534).

والميل ها هنا ليس معناه الطلوع والظهور كما في التوجيه الأول، بل تعني -كما أوضح ابن عاشور- أن «الصابئين» على هذه القراءة وعلى هذا الاشتقاق إنما تعني أن هؤلاء القوم مالوا عن كل دين إلى دين عبادة النجوم.

وخلاصة القول في هذا المثال الذي يبرز فيه تأثير الدلالة الاشتقاقية بشكل واسع وجلي في توجيه المعنى القرآني، فإنه على الرغم من اختلاف الجذر الاشتقاقي لصيغة القراءتين إلا أنه يمكن توافقهما في معنى عام مشترك؛ إذ الأصل -كما قال ابن عاشور- توافق القراءات في المعنى، وبيان ذلك أن الدلالة التي يؤديها الفعل «صبأ» (بالهمز) وهي الظهور والطلوع الذي هو من خصائص وميزات النجوم، مكملة للدلالة التي يؤديها الفعل «صبا» (بالتخفيف) والتي تعني الميل الذي هو التحيز إلى عبادة النجوم وترك الأديان الأخرى، فكلاهما يكمل الآخر، وذلك على معنى أن «صبأ» مضاف إلى خاصية وميزة يتميز بها النجم الذي يعبدونه، وكذلك معنى «صبا»

(2) سورة البقرة، الآية: 62.

الذي فيه الميل المباشر إلى دين عبادة النجوم والابتعاد عن جميع الأديان الأخرى، فضلال الصابئة حاصل بالأصلين الاشتقاقيين، ففي الأول حصل بإسناده إلى ميزة من ميزات النجوم ومن ثم عبادتها، وفي الثاني حصل بالاتصال المباشر، وذلك عن طريق الميل والتحيز لهذا الدين الذي يعبد فيه النجم ويعظم.

- وقال في تفسيره لقول الله تعالى: "فَقُطِع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين [3]:"... و{الدَّابِرُ} اسم فاعل من«دَبَرَه» (من باب كَتَبَ) إذا مشى من ورائه، و المصدر :الدُّبور (بضمّ الدال)، ودابِرُ النّاس: آخِرُهم، وذلك مشتقّ من الدّبر و هو الوراء،قال الله تعالى:فاسر بأهلك بقطع من الليل واتّبع أدبارهم [4]،وقطع الدّابر كناية عن ذهاب الجميع؛لأنّ المستأصل يبدأ بما يليه،ويذهب يستأصل إلى أن يبلغ آخره وهو دابره،وهذا ممّا جرى مجرى المثل،وقد تكرّر في القرآن،كقوله تعالى: وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين(5)". (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج7 ص 231)

من خلال هذا المثال يتّضح توالي التحليلات التي دقق فيها ابن عاشور تركيزه على الجانب الاشتقاقي للصيغ، وفي سياق هذه الآية حاول كذلك تفسير المعنى الذي أفادته الآية القرآنية ككل من خلال تركيز البحث وجعل محوره يدور حول الدلالة الاشتقاقية للصيغة القرآنية، فصيغة «دابر» هنا تعني الوراء أو آخر الشيء، وذلك بالرجوع إلى الأصل فهو مأخوذ من الفعل الثلاثي «دَبَرَ» إذا مشى من ورائه، ومصدره هو الدُّبُور (بضم الدال).

ويدقّق ابن عاشور في إظهار توافق المعنى بين هذه الصّيغة (اسم الفاعل) ومدلولها الاشتقاقي، وبين معنى القطع، وذلك بإيراده لآية أخرى للاستشهاد وتأييد المعنى؛ كما في قوله تعالى: (فاسر بأهلك بقطع من الليل واتّبع أدبارهم) ، التي تعني كذلك الوراء، فالدّابر في سياق الآية له علاقة قويّة من حيث المعنى بما يتضمّنه سياق الآية ككل، ومردّ ذلك أنّ القطع الذي يعني استئصال الشّيء عن آخره إنّما يبدأ بالتّدريج إلى أن يصل إلى آخره وهو الدابر.

وبالمعنى الكنائي الذي أورده ابن عاشور أن التعبير بقطع الدابر إنما هو كناية عن ذهاب الجميع من المكذبين والظالمين "الذين اصطلوا بالعذاب وتقطعت بهم الأسباب على ما قضاه الله وقدره من خلال هلاكهم، فإن بذلك تتبين آياته وإكرامه لأوليائه وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاء به المرسلون". (السّعدي عبد الرحمن بن ناصر، 2000، صفحة 433)

وخلاصة القول في هذا المثال القرآني أنه شاهد كذلك من الشواهد التي توضح وتبين كيف يمكن للدلالة الاشتقاقية أن تؤثر في المعنى تأثيرا مباشرا ودقيقا.

2 .5 قضايا متعلّقة بالصّفة المشبّهة:

- قال في تفسيره لقوله تعالى:﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾[6] : "... والرب إمّا مصدر و إمّا صفة مشبّهة على وزن فعل،من رَبَّه يَرُبُّه ؛ بمعنى رَبّاه ، و هو رَبٌّ ؛ بمعنى مُرَبٍّ و سائِسٌ. والتّربية تبليغ الشّيء إلى كماله تدريجا، ويجوز أن يكون

(3) سورة الأنعام، الآية: 45.
(4) سورة الحجر، الآية: 65.
(5) سورة الحجر، الآية: 66.
(6) سورة الفاتحة، الآية: 2.

من"رَبَّه" بمعنى مَلَكَه؛ فإن كان مصدرا على الوجهين فالوصف به للمبالغة،وهو ظاهر، وإن كان صفة مشبّهة على الوجهين فهي واردة على القليل في أوزان الصّفة المشبّهة؛ فإنّها لا تكون على"فَعْل"مِن"فَعَلَ يَفعُلُ"إلّا قليلا،من ذلك قولهم:نَمَّ الحديثَ يَنُمُّه،فهو نَمٌّ للحديث.

والأظهر أنه مشتق من"رَبَّه"بمعنى رباه وساسه،لا من"رَبَّه" بمعنى مَلَكَه؛ لأنَّ الأول الأنسب بالمقام هنا؛ إذ المراد أنه مدبر الخلائق وسائس أمورها ومبلغها غاية كمالها ،ولأنه لو حمل على معنى المالك لكان قوله تعالى بعد ذلك: (ملك يوم الدّين) [7]كالتأكيد،والتأكيد خلاف الأصل، و لا داعي إليه هنا، إلاّ أن يجاب بأن "الْعَالَمِينَ"لا يشمل إلا عوالم الدّنيا، فيحتاج إلى بيان أنه ملك الآخرة كما أنه ملك الدّنيا،وإن كان الأكثر في كلام العرب ورود الرب بمعنى الملك والسّيد، وذلك الذي دعا صاحب((الكشّاف)) إلى الاقتصار على معنى السيّد والملك، وجوّز فيه وجهي المصدرية والصّفة، إلّا أنّ قرينة المقام قد تصرف عن حمل اللّفظ على أكثر موارده إلى حمله على ما دونه فإن كلا الاستعمالين شهير، حقيقي أومجازي، والتبادر العارض من المقام المخصوص لا يقضي بتبادر استعماله في ذلك المعنى في جميع المواقع كما لا يخفى.والعرب لم تكن تخصّ لفظ الربّ به تعالى،لا مطلقا ولا مقيّدا،لما علمت من وزنه و اشتقاقه. قال الحارث بن حلزة: [على الخفيف]

وَهُوَ الرَّبُّ والشَّهِيدُعلَى يَوْ مِ الحيارين و البَلاءُ بَلاءُ.

يعني عمرو بن هند...

وقال صاحب الكشّاف ومن تابعه إنّه" لم يطلق على غيره" (الزمخشري أبو القاسم جار الله ، 1407، صفحة ج1 ص 06) تعالى إلّا مقيّدا أو لم يأتوا على ذلك بسند،وقد رأيت أن الاستعمال بخلافه، أما إطلاقه على كل من آلهتهم فلا مرية فيه؛كما قال غاوي بن ظالم أو عباس بن مرداس: [على الطويل]

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبانُ بِرَأسِهِ

لَقَد هانَ مَن بالَت عَلَيه الثَّعالِبُ.

وسَمّوا العزى: الرَّبّة، وجمعه على"أرباب" أدل دليل على إطلاقه على متعدّد، فكيف تصح دعوى تخصيص إطلاقه عندهم بالله تعالى، وأمّا إطلاقه مضافا أومتعلّقا بخاص فظاهر وروده بكثرة؛نحو:رَبُّ الدّار ورَبُّ الفرس ورَبُّ بني فلان..."". (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج1 ص167)

لقد شغلت قضيّة البحث في الأصل الاشتقاقي لمفردات وصيغ الكلمات القرآنية صاحبَ التّحرير والتّنوير، وخير دليل على ذلك أنّه كثيرا ما يوجّه المعنى القرآني، بناء على قضيّة الأصل والجذر الاشتقاقي للكلمات، وخير شاهد على ذلك هذا المثال الذي جعل فيه ابن عاشور لفظة "الربّ" مدارا لسياق الآية والمعنى المراد منها، حيث استطرد في تحليل هذه المفردة بشكل ملفت للنّظر، فالمتأمّل والمدقّق للتّحليلات اللّغوية المذكورة في سياق هذه الآية الكريمة يلحظ شدّة اعتناء الشّيخ بالبحث في الأصل الاشتقاقي ومحورة المعنى حوله، فقد وجّه المعنى على هذا الأساس باختياره لرأيين لغويين بارزين، الرّأي الأوّل وهو الذي اختاره ورجّحه والذي يعد الأصل الاشتقاقي للفظة (الربّ)مأخوذ

(7) سورة الفاتحة، الآية: 4.

من الفعل "رَبَّه يَرُبُّه" بمعنى رَبّاه، ومنه تكون صفة "الربّ" في الدّلالة المعجمية تعني المربّي والسّائس، وقد كان اختيار الشّيخ لهذا الوجه واضحا، سواء كان حمل الصّيغة على المصدرية التي يراد بها المبالغة أو الصّفة المشبهة الواردة منه على القليل، وبنى ذلك مراعيا السّياق والمقام الذي وردت فيه الصّيغة، وتبرير ذلك أنّ المراد من الصّفة (الربّ) أنّه مدبّر الخلائق وسائس أمورهم ومبلغّها غاية كمالها، وقد زاد ابن عاشور توضيح هذا الاختيار من خلال دحضه للرّأي الثّاني الذي اختاره الزّمخشري، لذلك فهو يرى أنّ هذه الصّفة لو حمُلت على معنى المالك لكان ما بعدها بمنزلة التّأكيد له، وهذا على خلاف المعنى السّياقي المراد من الآية الكريمة، حتّى وإن كان إطلاق لفظ "الربّ" عند العرب يراد به غالبا الملك والسّيد، إلاّ أنّ قرينة المقام قد تصرف المعنى عن ذلك، وذلك بهدف تحقيق الغرض المراد من الآية.

ثمّ توسّع ابن عاشور –كعادته -في عرض تحليلاته اللّغوية باختياره الذي يرى فيه احتمال الوجهين في توجيه الصّيغة بين المصدرية والصّفة المشبهة،وهذا خلافا –كما أشرت لمذهب الزّمخشريّ- مدعّما رأيه بشواهد من كلام العرب، ومنطلقه في ذلك أنّ العرب "لم تكن تخصّ لفظ "الربّ" به تعالى، لا مطلقا ولا مقيّدا، لمّا علمت من وزنه و اشتقاقه"، وشاهده في ذلك قول الحارث بن حِلزةَ اليشكري: (على الخفيف)

وَ هُوَ الرَّبُّ و الشَّهِيدُ علَى يَوْمِ الحيارين و البَلاءُ بَلاءُ.

وهو يعني بذلك عمرا بن هند.

وهذا الرّأي خلاف ما اختاره الزّمخشري من كون لفظ "الربّ" إنّما أُطلق على غير الله تعالى مقيّدا، ولكن لم يستند إلى دليل أو شاهد يذكر، وقد ردّ ابن عاشور هذا القول لافتقاره للدّليل، ثمّ بيّن أنّ إطلاقه إنّما كان على آلهتهم المتعدّدة، وقد بَيّن ذلك بشواهد تدلّل على صحّة ما ذهب إليه، وأنّ إطلاق لفظ "الربّ" على الله تعالى تخصيص لا برهان عليه، أمّا إطلاقه بالإضافة أو بالتّعليق فوارد مطّرد في كلام العرب.

وممّا تقدّم يتّضح أنّ ابن عاشور قد ركّز على قضيّة الأصل الاشتقاقي في تحليله لهذا المثال مع شدّة اعتنائه بالسّياق القرآني وإبراز تلك العلاقة الوطيدة بين الصّيغة ووظيفتها التّركيبية داخل السّياق.

- وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير﴾ [8] : "... و{اللَّطِيفُ}:وصف مشتق من اللّطف أو من اللّطافة، يقال: لَطَف (بفتح الطّاء)؛ بمعنى رفق وأكرم و احتفى، ويتعدى بالباء وباللام باعتبار ملاحظة معنى"رَفَقَ" أو معنى"أحسَنَ"، ولذلك سميت الطرفة والتّحفة التي يكرم بها المرء لَطَفا (بالتّحريك)،وجمعها: ألطاف، فالوصف من هذا "لاطف" و"لطيف": فيكون "اللطيف" اسم فاعل بمعنى المبالغة يدل على حذف فعل من فاعله،ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف(إنّ ربّي لطيف لما يشاء إنّه هو العليم الحكيم) [9]، ويقال لَطُف (بضمّ الطاء)؛ أي:دَقَّ وخَفَّ(ضدّ ثَقُلَ و كَثُفَ).

و"اللّطيف": صفة مشبّهة أو اسم فاعل، فإن اعتبرت وصفا جاريا على "لَطُفَ" (بضمّ الطاء) فهي صفة مشبّهة تدلّ على صفة من صفات ذات

(8) سورة الأنعام، الآية: 103.

(9) سورة يوسف، الآية: 100.

الله تعالى، وهي صفة تنزيهه تعالى عن إحاطة العقول بماهيته أو إحاطة الحواس بذاته وصفاته، فيكون اختيارها للتّعبير عن هذا الوصف في جانب الله تعالى هو منتهى الصّراحة والرّشاقة في الكلمة؛لأنّها أقرب مادة في اللّغة العربية تقرب معنى وصفه تعالى بحسب ما وضعت له اللغة من متعارف النّاس،فيقر بأن تكون من المتشابه،وعليه فتكون أعم من مدلول جملة {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}،فتتنزّل من الجملة التي قبلها منزلة التذييل أو منزلة الاستدلال على الجزئية بالكلية، فيزيد الوصف قبله تمكنا، وعلى هذا المعنى حمله االزّمخشري في «الكشّاف»؛ لأنه أنسب بهذا المقام وهو من معاني الكلمة المشهورة في كلام العرب،واستحسنه الفخر، وجوزه الراغب والبيضاوي، وهو الذي ينبغي التفسير به في كل موضع اقترن فيه وصف "اللطيف" بوصف"الخبير"،كالذي هنا والذي في سورة الملك" (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج7 ص 417).

اعتمد ابن عاشور في هذا المثال كذلك على قضيّة الجذر الاشتقاقي للصّيغ الصّرفية في تبنّي المعنى الذي يختاره، والذي يُجريه بحسب السّياق، فقبل تحديد المعنى الإجمالي الذي تضمّنته الآية الكريمة، بدء تحليله بتحديد الأصل الاشتقاقي للصّيغة، فـ"اللّطيف" مشتقّ من اللّطف أو من اللّطافة، فهو يبيّن أنّ في اشتقاقه وجهان: الأوّل إذا عُدّ مأخوذا من الفعل "لَطَف" بفتح الطاء، فدلالته المعجمية تأخذ معنى الرّفق والإكرام والاحتفاء، والوصف على اعتبار هذا الوجه: لاطف ولطيف، فتكون الصّيغة اسم فاعل لتأدية معنى المبالغة، أمّا الوجه الثّاني فـ"اللّطيف" (على وزن "فعيل") صفة مشبّهة تدلّ على صفة من صفات الله تعالى، لما تحمله من معنى التّنزيه لله سبحانه في ذاته وصفاته وعلوّه على خلقه، فتكون مناسبة توجيه الصّيغة بهذا المعنى في غاية الدقّة والتّعبير عن المعنى المقصود من وصفه سبحانه وتعالى بأكمل الصّفات، وبهذا الاعتبار تكون الصّفة المشبّهة بمنزلة التّذييل أو التّعبير على الجزئية بالكليّة، وهو ما يمكن الوصف الذي قبله تمكينا وتأكيدا. وهذا الذي اختاره ابن عاشور ذهب إليه غير واحد من علماء اللّغة والتّفسير كالزّمخشري والرّازي، كما جوّزه الرّاغب والبيضاوي،وقد أضاف ابن عاشور إلى اختياره حكما عامّا حول هذه الصّيغة من خلال قوله بإلزامية حمله على هذا المعنى في كلّ المواضع التي ترد فيها صفة "اللّطيف" مقترنة بصفة "الخبير". (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج7 ص 714)

● وقال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ولقد أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ [10]: "و {الْمَثَانِي}:يجوز أن يكون جمع "مُثَنًّى" (بضم الميم وتشديد النّون) اسم مفعول مشتقا من "ثَنَّى" إذا كرّر تكريرة .قيل: {الْمَثَانِي}: جمع مَثْناةٌ (بفتح الميم وسكون الثاء المثلثة وبهاء تأنيث في آخره) ،فهو مشتق من اسم الاثنين.والأصحّ أنّ السّبع المثاني هي سورة فاتحة الكتاب؛ لأنها يثنى بها؛ أي تعاد في كل ركعة من الصّلاة، فاشتقاقها من اسم الاثنين المراد به مطلق التّكرير، فيكون استعماله هذا مجازا مرسلا بعلاقة الإطلاق، أو كناية؛ لأنّ التّكرير لازم؛ كما استعملت صيغة التّثنية فيه في قوله تعالى: (ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)[11]؛أي

(10) سورة الحجر، الآية: 87.

(11) سورة الملك، الآية: 4.

كَرّات،و في قولهم: لبيك وسعديك ودواليك. أو هو جمع "مثناة": مصدرا ميميا على وزن المفعلة، أطلق المصدر على المفعول.

ثم إن كان المراد بالسبع سبع آيات فالمؤتى هو سورة الفاتحة؛لأنها سبع آيات، و هذا الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد بن المعلى وأبَيّ بن كعب وأبي هريرة في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ {أم القرآن هي السبع المثاني}فهو الأولى بالاعتماد عليه، وقد تقدّم ذلك في ذكر أسماء الفاتحة.

ومعنى التّكرير في الفاتحة أنها تكرّر في الصّلاة.

وعن ابن عبّاس: أنّ السّبع المثاني هي السّور السّبع الطّوال: أولاها البقرة وآخرها براءة،وقيل: السّور التي فوق ذوات المئين". (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج14 ص 80)

وفي أمثلة أخرى قد لا يكتف ابن عاشور بتحليل الصّيغة الصّرفية تحليلا سطحيا مباشرا ، وإنّما يتعدّاه إلى اعتماد منهجية التعمّق والاعتناء بالجذور الاشتقاقية للكلمة وبسط الكلام عن الاحتمالات الواردة فيها وذلك كلّه بغرض توجيه المعنى القرآني، وهو ما يتّضح في هذا المثال؛ حيث جعل الصّيغ القرآنية على اختلاف تأويلاتها في المعنى والدّلالة الواحدة، فكلمة المثاني الواردة في الآية الكريمة تتغيّر معانيها -كما يرى ابن عاشور- بحسب الأصل الاشتقاقي الذي تُحمل عليه، فإن حُملت على كونها مصوغة من جمع "مثنى" فهي اسم مفعول مشتقّ من الفعل "ثنّى" والذي يعني تكرير الشّيء، وإن كانت صياغتها جمع "مُثْناة" فهي تعود في أصلها الاشتقاقي إلى اسم الاثنين، والاختيار الذي رجّحه ابن عاشور هو ما ذهب إليه الزّمخشري في كشّافه، وإن كان الزّمخشري قد أجاز في حديثه عن أصل الاشتقاق لكلمة (المثاني) بذكره لاحتمالين في توجيهها الصّرفي على خلاف ابن عاشور الذي استطرد في خلال عرضه للمسائل التّصريفية في هذا الباب، بالإضافة إلى أنّه قد أظهر ميله إلى الوجه الثّاني الذي نقله الزّمخشريّ من حمل (المثاني) على دلالة التّكرير، ورجّح من خلال هذا التّأصيل الاشتقاقي على أنّ المقصود من السّبع المثاني هو سورة الفاتحة لأنّه مثنّى بها؛ أي تعاد في كل ركعة من الصّلاة، وإن كان قد ذكر توجيهات واحتمالات أخرى، إلاّ أنّها لا ترقى في درجة الاختيار إلى التّوجيه الأوّل الذي على أساسه تمّ بناء المعنى والذي كان منطلقه الاعتناء بقضية الاشتقاق وتعليقه بالسّياق الذي ورد فيه .

وخلاصة القول أنّ بن عاشور كثيرا ما يستطرد في تحليل الصّيغة الصّرفية من خلال إيراد الاحتمالات الاشتقاقية فيها، ثمّ يجعل ذلك الاعتناء بقضية الوزن الاشتقاقي مبدأ أساسا في عملية التّرجيح والاختيار، وهذا ما جسّده في هذا المثال وفي غيره من الأمثلة، سواء في قضايا اسم المفعول أوفي قضايا المشتقّات الأخرى، كما ينبغي التّنبيه على أنّ صاحب التّحرير والتّنوير لم يكن الوحيد في إظهار اهتمامه وشدّة اعتناءه بهذه القضايا الصّرفية، وخاصّة في هذه المسألة ،فإنّ ما أورده غيره من علماء التّفسير ليدلّ على حرصهم الشّديد أيضا بمثل هذه القضايا ،ومنهم صاحب البحر المحيط، الذي استطرد هو الآخر في تحليل الصّيغة الصّرفية للفظة (مثاني) من خلال جمعه لأقوال اللّغويين والنّحويين فيها، أبرزها تلك الأقوال التي انبنت على تعليلات نحوية تركيبية وتحديدا على الدّور الوظيفي الذي تؤوّل به (مِنْ) التي اتّصلت بلفظة (المثاني)

فإن حُملت على بيان الجنس ، فهذا مبرّر آخر لما ذهب إليه ابن عاشور ، وهذا ما أوضحه أبو حيّان بقوله:" وعلى هذا التّفسير الوارد في الحديث تكون (من) لبيان الجنس، كأنّه قيل: التي هي المثاني، وإن حُملت على التّبعيض فهذا مبرّر من جعلها السّبع الطّوال أو آل حميم" (الأندلسي أبو حيّان ، 1420، صفحة ج6 ص 494)، إلى غير ذلك من الأقوال التي نقلها أبو حيّان في تفسيره، والتي توضّح كثرة التّقديرات اللّغوية في هذه المسألة وثرائها من النّاحية الاشتقاقية ،وهو معوّل قويّ جعل ابن عاشور يرجّح فيه الاختيار الذي ذكرناه سابقا.

- وقال في تفسيره لقول الله تعالى: وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصّلاة والزّكاة ما دمت حيّا [12]: "والمبارك: الذي تقارن البركة أحواله في أعماله ومحاورته ونحو ذلك؛ لأن المبارك اسم مفعول من"باركه"؛ إذا جعله ذا بركة، أو من"بارك" فيه؛ إذا جعل البركة معه، والبركة: الخير و اليمن. ذلك أن الله أرسله برحمة لبني إسرائيل ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم، وليدعوهم إلى مكارم الأخلاق بعد أن قست قلوبهم وغيروا من دينهم، فهذه أعظم بركة تقارنه، ومن بركته أن جعل الله حلوله في المكان سبب الخير أهل تلك البقعة من خصبها واهتداء أهلها وتوفيقهم إلى الخير، ولذلك كان إذا لقيه الجهلة والقساة والمفسدون انقلبوا صالحين وانفتحت قلوبهم للإيمان والحكمة، ولذلك ترى أكثر الحواريين كانوا من عامة الأميين من صيادين وعشارين،فصاروا دعاة هدى وفاضت ألسنتهم بالحكمة... والتعميم الذي في قوله: {أَيْنَمَا كُنتُ} تعميم للأمكنة؛ أي لا تقتصر بركته على كونه في الهيكل بالمقدس أو في مجمع أهل بلده،بل هو حيثما حل تحل معه البركة"[13]. (ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، صفحة ج16 ص 99)

وعلى المنوال نفسه في توجيه ابن عاشور لصيغة اسم المفعول بالاستطراد والتوسّع في الأصل الاشتقاقي وحمل المعنى عليه، فكما حمل كلمة "المبارك" في موضع وصف القرآن العظيم بها ودلالتها على معنى كثير الخير والبركة المجعولة فيها، فكذلك في هذه الآية، فإنّ خطاب عيسى عليه السّلام لقومه بأنّه المتّصف بالمبارك فإنّ فيه معنى: الذي تقارن البركة أحواله في أعماله ومحاورته ونحو ذلك، وهذا ما تفيده صيغة اسم المفعول المشتقّ من غير الثلاثي، والتي من مقتضياتها في هذا السّياق تعدية المتّصف به إلى غيره، وهذا ما أراد ابن عاشور أن يبني عليه معنى هذه الآية، فبعد كلّ ما فعله بنو إسرائيل من عظائم الذّنوب أراد الله أن يكون هذا الرّسول (عيسى عليه السّلام) أعظم بشرى تبشّرهم... وأكبر بركة من خلال ما تحمله من هداية وتوفيق إلى الخير، وأبرز دليل على انتقال بركة المتّصف بها إلى غيره أنّ أنصار عيسى عليه السلام بعد أن كانوا من عامّة الأميّين صاروا من أظهر دعاة الهدى والحكمة، وممّا يبرز قيمة الدّلالة الاشتقاقية وعلاقتها بالسّياق القرآني أنّ دلالة التّعميم في قوله: {أَيْنَمَا كُنتُ} إنمّا تؤكّد صفة البركة، لا أنّها تقتصر على ذات عيسى عليه السلام، وإنّما تحلّ معه أينما حلّ.وقد أضاف المراغي في معنى البركة المستفادة من هذه الصّيغة أي صيغة اسم المفعول رابطا إيّاها بالصّفات السّابقة وهي إتيان الكتاب والنبوّة ،أنّها جُعلت وكأنّها "حدثت له فعلا وهي لم تحصل

(12) سورة مريم، الآية: 31.

(13) التحرير والتنوير، ج16، ص 99.

بعد، من قبيل أنّها لمّا كانت واقعة حتما نُزّلت منزلة ما قد حصل." (المراغي أحمد مصطفى ، 1946، صفحة ج16 ص 48)وكلّ هذه المعاني بلا شكّ إنّما انبنت عن الدّلالة الاشتقاقية لصيغة اسم المفعول في لفظة (مباركا).

6. خاتمة:

لقد خلص البحث إلى مجموعة من النّتائج من خلال تخصيصه في مجال التّفسير القرآني وتحديده عند أحد أعلامه وهو محمّد الطّاهر بن عاشور، والذي دار محوره حول ظاهرة الاشتقاق وتحديدا حول الأصل الاشتقاقي، ومنهجية ابن عاشور في تحليله لها، تمّ التّوصّل إلى أنّ دقّة الشّيخ في تحليله لقضايا المشتقّات تبرز بوجه جليّ من خلال إظهار اهتمامه الواسع في التّفريق بين الصّيغ المتشابهة، معتمدا في ذلك على الأصل الاشتقاقي،كما أبرز البحث أنّ قضيّة الأصل الاشتقاقي لصيغ المشتقّات يُعدّ معوّلا رئيسا يستخدمه ابن عاشور لاكتشاف الجانب الدّلالي،إذ كثيرا ما يستعين بإرجاع الصيغ إلى أصولها الاشتقاقية من أجل الوصول إلى المعنى القرآني.وممّا تجدر الإشارة إليه كذلك أنّ من أبرز خصائص التّحليل اللّغوي عند صاحب التّحرير والتّنوير وتحديدا في تناوله لقضايا المشتقّات، أنّه كثيرا ما يستحضر مختلف علوم العربية على تنوّعها ويوظّفها في مثل هذه القضايا الصّرفية ،ومثال ذلك اعتماده عنصر الرّبط الدّلالي بين التّوجيه القرائي للصّيغة وبين أصلها الاشتقاقي، كما أقرّ البحث أنّ مراعاة الجانب السّياقي يعدّ إحدى الرّكائز التي اعتمدها ابن عاشور في التّوجيه المعنى القرآني، وفي إطار ذلك كان تناوله لقضيّة الأصل الاشتقاقي للصّيغ الصّرفية، وخلاصة القول أنّ اهتمام ابن عاشور بقضية الاشتقاق كان منصبّا حول الجوانب التّالية:

أ-ضبط بنية الصّيغة بناء على أصلها: (وتبريره لذلك أنّ ضبط بنية الكلمة له علاقة بدلالة المعنى).

ب- لم يتوقّف ابن عاشور عند حدّ ضبط بنية الكلمة، بل يتعدّاها إلى تتبّع كيفية حصول هذا الضبط وذكر مراحله,

ج- بيان دلالة الصّيغة (الكلمة) على أصلها: (البحث في العلاقة بين اللّفظ وبين أصل اشتقاقه من حيث الدّلالة).

د- من مبادئ التحليل اللّغوي عند ابن عاشور، وتحديدا في تناوله لقضيّة الأصل الاشتقاقي للألفاظ، تبنّيه لمجموعة من التصوّرات والتّأويلات كاعتباره أنّ الأصل الحسّي (الظّاهر) هو المعتبر في الاشتقاق، وعلى هذا الأساس فقدّ عدّ أنّ الانتقال الدّلالة من المحسوس إلى المجرّد هو انتقال تخييلي مجازي.

هـ- من الزّوايا المهمّة المتعلّقة بالفروق الدّلالية التي شغل بها ابن عاشور وتحديدا عند تناوله للقضايا الصّرفية هو ما يمكن أن يُعبّر عنه: "باتّفاق حروف الأصل الاشتقاقي مع تغيّر ضبطها واتّفاقها لفظا وضبطا وأثر ذلك في اختلاف الدّلالة

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

أبو النصرإسماعيل الجوهري. (1990). *تاج اللّغة وصحاح العربية*. ،دار الكتب العلمية، لبنان .

الفيروز آبادي مجد الدين. (2013). *القاموس المحيط*. دار الكتب العلمية ، لبنان.

عبد التواب رمضان. (1418). *فصول في فقه اللغة*. مكتبة الخانجي: القاهرة .

محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (1975). *الجامع لأحكام القرآن*. دار إحياء التراث العربي .لبنان .

خديجة عبد الرزاق الحديثي. (1965). *أبنية الصرف في كتاب سيبويه*. مكتبة النهضة.بغداد

عثمان ابن جنّي. (1988). *الخصائص*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.مصر

عبد الله أمين. (2000). *الإشتقاق*، مكتبة الخانجي .مصر

توفيق شاهين . (1993). *عوامل تنمية اللّغة* . مكتبة وهبة للنشر والتوزيع .القاهرة ،مصر

ابن فارس أحمد . (1997). *معجم مقاييس اللغة* .: محمد علي بيضون -ط1 . بيروت لبنان

ابن عاشور محمّد الطّاهر. (1984). *التّحرير والتّنوير*. : الدار التّونسية للنشر .تونس

ابن علي أحمد القلقشندي . (1987). *صبح الأعشى في صناعة الإنشا* . دمشق : دار الفكر - ط1. سوريا

ابن فارس أحمد . (1997). *الصاحبي في فقه اللّغة* . : دار الكتب العلمية .لبنان

ابن قتيبة عبد الله بن مسلم . (2005). *أدب الكاتب* .: دار الطّلائع .مصر

ابن منظور جمال الدّين . (1414). *لسان العرب* . : دار صادر .لبنان

أبو النصرإسماعيل الجوهري. (1990). *تاج اللّغة وصحاح العربية*. بيروت.

الإشبيلي ابن عصفور . (1987). *الممتع* : دار المعرفة .لبنان

الأندلسي أبو حيّان . (1420). *البحر المحيط في التّفسير*. : دار الفكر .لبنان

الزمخشري أبو القاسم جار الله . (1407). *الكشّاف* . : دار الكتاب العربي -ط3 . لبنان

الزهراني مشرّف بن أحمد . (2009). *أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطّاهر بن عاشور* .: مؤسّسة الريان.لبنان

السّعدي عبد الرحمن بن ناصر. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان* .: مؤسّسة الرسالة ط1 .لبنان

السيوطي جلال الدّين . (2008). *الإتقان في علوم القرآن* .: مؤسّسة الرسالة -ط1.لبنان

الفيروز آبادي مجد الدين. (2013). *القاموس المحيط*. لبنان.

المراغي أحمد مصطفى . (1946). *تفسير المراغي* .: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .مصر

خديجة عبد الرزاق الحديثي. (1965). *أبنية الصرف في كتاب سيبويه*. : مكتبة النهضة.بغداد

ربدة بن عزوز . (1989). *دراسة المشتقّات العربية وآثارها البلاغية في المعلّقات العشر الجاهلية* .: المؤسّسة الوطنية للكتاب.الجزائر

شاهين توفيق . (1993). *عوامل تنمية اللّغة*.: مكتبة وهبة للنشر والتوزيع.مصر

عبد التواب رمضان. (1418). *فصول في فقه اللغة*.: مكتبة الخانجي.مصر

عبد الله أمين. (2000). *الإشتقاق*.: مكتبة الخانجي .مصر

عثمان ابن جنّي. (1988). *الخصائص*.: الهيئة المصرية العامة للكتاب.مصر

محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (1975). *الجامع لأحكام القرآن*.: دار إحياء التراث العربي .لبنان

محمد بن إسماعيل البخاري. (1989). *الأدب المفرد*.: دار البشائر .لبنان

الأطروحات:

علي نعمة حيدر . (2013). *ظاهرة الاشتقاق وأثرها في إثراء الدّلالة اللّغوية والمعجمية للمفردة القرآنية* : الجامعة العراقية -كليّة الآداب -العدد 2013 –العراق

المقالات:

فياض علي الجبّوري عبد الرزاق. (2013). *دلالة أبنية المصادر والمشتقّات في شرح السيرافي لكتاب سيبويه ، مجلة : سرّ من رأى ،المجلد 09 ، العدد 35،ص 24*

الهيثي فراس يحي عبد الجليل . (2007). *الاشتقاق والتّصريف وأثرهما في ترجيح المعاني في التّفسير*. مجلّة الباحث الجامعي -كانون الثّاني/يناير .